

نظرة الكتاب الكلاسيكيين لتجارة الجزيرة العربية

توطئة:

تبوأَت تجارة الجزيرة العربية جانباً مهماً في تاريخ الشرق الأدنى القديم منذ الألف الثالث قبل الميلاد، ما دفع دول المنطقة وإمبراطورياتها إلى الاهتمام بها، والعمل على السيطرة عليها عن طريق التبادل السلمي أو القوة العسكرية. وتهدف الدراسة إلى تقييم نظرة الكتاب الكلاسيكيين لتجارة الجزيرة العربية وثوراتها، خلال الفترة من القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي، التي تمثل فترة زمنية مهمة في تاريخ الجزيرة العربية وتجارتها. ويركز البحث على تحليل الكتابات الكلاسيكية عن تجارة الجزيرة العربية، ودور الكتاب في تزويدنا بمعلومات عن التجارة والأوضاع الاقتصادية في المنطقة، من خلال كتاباتهم عن السكان والقوى السياسية والبضائع وحجم التجارة والضرائب المحصلة عليها، ومدى تأثيرها على الاقتصاد الروماني. وسوف نركز على التحقق من مدى صدق هؤلاء الكتاب في تقييم تجارة الجزيرة العربية، من خلال مقارنة معلوماتهم بالتجارة القائمة في تلك

الدكتور: عبدالله
ابن عبدالرحمن
العبدالجبار *

* بكالوريوس من
جامعة الملك سعود
عام ١٩٨٣م.
- دبلوم دراسات عليا
من جامعة الإمام
محمد بن سعود
الإسلامية عام
١٩٨٥م.
- ماجستير من جامعة
إنديانا-بلومنجتون
عام ١٩٨٩م.
- دكتوراة من الجامعة
نفسها ١٩٩٥م.
- يعمل الآن أستاذاً
مشاركاً بقسم
التاريخ - كلية
الآداب بجامعة
الملك سعود.

الدرمجة

السنة : الثالثة عشرة

العددان : الحادي والثاني والخمسون

المحرم ١٤٣٣هـ

يناير ٢٠١٢م

٢٢٥

الفترة، وبالشواهد الأثرية التي عثر عليها في الجزيرة العربية والمناطق المجاورة. شددت تجارة الجزيرة العربية اهتمام الكتاب الكلاسيكيين، ما دفعهم إلى البحث والتحري عن مصادر هذه التجارة وأنواع السلع المصدرة ومناطق الإنتاج وغيرها من الموضوعات ذات الصلة، التي أكسبت العرب شهرة عالمية في الأسواق الدولية، كما تحدثوا عن ثراء العرب الأسطوري، وامتلاكهم الأموال والثروات الضخمة، التي حققوها من تجارة المواد العطرية والتوابل والمشتقات الأخرى. وقد أثرت كتاباتهم على القادة العسكريين، مثل الإسكندر وخلفائه والقادة الرومان، وشجعتهم على إرسال الحملات العسكرية لغزو الجزيرة العربية^(١). وظل الاهتمام حتى العصور الحديثة، حيث شهد القرن التاسع عشر الميلادي زيارة عدد كبير من الرحالة للجزيرة العربية للتنقيب عن كنوزها واستكشاف مناطق إنتاج البخور، ليجابوها بخيبة كبيرة، مثل من سبقهم في العصور القديمة، لأن الجميع بالغ في أثرها على الجزيرة العربية^(٢).

ويمكن ربط نظرية ثراء سكان الجزيرة العربية لأول مرة عند هيرودوت^(٣)، الذي

(١) لا تزال النظرة الكلاسيكية تهيمن على الكتابات العربية المتصلة بتجارة الجزيرة العربية خلال الفترة الكلاسيكية، انظر مثلاً فيكتور سحاب. إيلاف قريش. رحلة الشتاء والصيف، بيروت: المركز الثقافي العربي ١٩٩٢م، ص ٢٩-٤٢، ٤٦-٤٨، عبد الرحمن سعد إبراهيم. تجارة روما مع الهند وجنوب الجزيرة العربية في العصر الإمبراطوري: دراسة اقتصادية واجتماعية ٣٠ ق.م - ١٩٢م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنصورة، ٢٠٠٦م، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢) حول الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية وما ذكروه من معلومات تتعلق بتاريخها القديم وتجاريتها، انظر جاكين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب. خمسة قرون من المغامرة والعلم؛ ترجمة قدري قلججي - الرياض: منشورات الفخرية، ب.ت، سمير عطا الله، قافلة الحبر: الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢-١٩٥٠م) - بيروت: دار الساقى، ١٩٩٤م.

(٣) مؤرخ إغريقي ولد في بلدة هليكرناسوس (حوالي ٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م) ولقب أبو التاريخ بفضل كتابه «تاريخ هيرودوت». قام برحلات إلى مناطق البحر المتوسط، مثل مصر وسوريا وشمال أفريقيا، وكتب عن الحروب اليونانية الفارسية، انظر - Lucian Boia (edt.), Great Historians from Antiquity to 1800: an international Dictionary, London: Greenwood Press 1989, pp.189-191

تطرق إلى أهمية منتجات الجزيرة وصادراتها، وظل هذا الرأي لدى الكتاب المتأخرين حتى العصور الميلادية. وتطورت النظرة خلال القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي لتصل إلى اتهام العرب باستنزاف الخزينة الرومانية، نتيجة إنفاق الرومان الهائل على المنتجات العطرية والتوابل للاستخدام في الحفلات الرسمية وغير الرسمية، أو للاستخدام في المنازل والحمامات العامة والعلاج وصناعة المستحضرات الطبية والزينة، وهو ما سوف نفضله لاحقاً. ولكن قبل ذلك من المهم معرفة الطبيعة الاقتصادية للجزيرة العربية خلال العصور القديمة.

وحقيقة، لا يختلف مجتمع الجزيرة العربية عن المجتمعات الأخرى في العصور القديمة، حيث كان مجتمعاً زراعياً من الدرجة الأولى^(١)، ولم يكن للتجارة أو الصناعة دور مؤثر في النشاط الاقتصادي، وحتى الرعي كان يعد مكملاً للنشاط الزراعي، ولم يعتمد عليه سوى عدد قليل من سكان الجزيرة العربية، كما تدل على ذلك الشواهد الأثرية والنقوش. فمن خلال دراسة آلاف النقوش المكتشفة في الجزيرة العربية يتضح اقتصارها على جوانب سياسية وعسكرية ودينية وزراعية، ويندر العثور على نقوش تتناول الموضوعات التجارية المتعلقة بتجارة المواد العطرية. فعلى الرغم من مشاركة كثير من الممالك العربية في تجارة البخور مثل، السبئيين، والقبتانيين، والمعينيين، والجرهاتيين، والأنباط، والتدمريين، إلا أن النقوش، التي تناولت التجارة، اقتصرت على النقوش المعينية والتدمرية. ففي النقوش المعينية نجد نقش زيد إيل المعيني (حوالي ٢٦٤/٢٦٣ ق.م) في مصر، ونقش هاني وزيد

(١) حول أهمية الزراعة ودور التجارة في العصور الكلاسيكية، انظر - Neville Morley, Trade in Classical Antiquity, Cambridge: Cambridge University press 2007, pp. 1-11. وفي الجزيرة العربية، انظر نورة عبد الله النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي - ط ١ - الرياض: دار الشواف، ١٩٩٢م، ص ٩٤، ٩٨، ٢٨٥.

إيل في ديلوس^(١)، أو النقش المعيني، الذي يشكر كاتبه الرب على نجاة قافلته من الحرب بين «مذي ومصر»^(٢). كذلك تتكرر عند التدمريين النقوش التي تتناول انخراط التدمريين في التجارة، وتقديهمم الشكر للآلهة على نجاح تجارتهم^(٣).

استهلاك البخور في العصور الكلاسيكية :

قبل التطرق إلى استهلاك منتجات الجزيرة العربية ينبغي تأكيد أن التجارة الشرقية ليست تجارة رفاهية، بل هي تجارة ضرورية لمجتمعات الشرق الأدنى، بما في ذلك الإغريق والرومان، لسبب يسير يكمن في أن معظم هذه السلع تتعلق بحياة معظم السكان لارتباطها بطقوس العبادة والدفن والعلاج منذ الألف الأول قبل الميلاد، حيث تناولت الكتابات الآشورية والبابلية والنصوص التوراتية العلاقات الحربية والتجارية مع العرب^(٤). ولذلك برز عدد من الباحثين، الذين رفضوا وصف التجارة الشرقية بتجارة السلع الفاخرة، لهذا السبب اليسير نفسه، وهو أن معظم هذه السلع تتعلق بحياة معظم السكان لارتباطها بطقوس العبادة والدفن والعلاج^(٥). وقد ذكر الكتاب الكلاسيكيون أنواعاً كثيرة من المواد العطرية المشتقة من اللبان، والمر، والبلسم، والقرفة، التي عرفوها

(١) سعيد فايز السعيد. العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ٢٠٠٣، ص ١١٨-١١٩. باسم سمير الشرقاوي، «بعض الجاليات الأجنبية التي عاشت في مصر القديمة»، العدد التكريمي . تحفة هندوسة، المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٧ م، <http://www.adabalex.org/vb/showthread.php?t=٨٢٧٨>، ١٥/١/٢٠١١ م.
(٢) محمد بيومي مهران. «دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة»، مجلة اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، ٦ (١٩٧٦ م)، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(3) Gary K. Young, Rome's Eastern Trade. International Commerce and Imperial Policy, 31BC—AD 305. London: Rutledge 2001, pp. 136–143

(٤) مهران، «دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة»، ص ٢٢٧-٢٥٥، ٢٧٧-٢٨٠.

(5) Steven E. Sidebotham: Roman Economic Policy in the Erythra Thalassa 30 B.C. - A.D. 217. (Mnemosyne Suppl., 91) Leiden: Brill, 1986, p. 45

بأسماء مختلفة حسب مناطق الإنتاج، وصنفوا المواد حسب الاستخدامات المتعددة لها^(١)، التي من أبرزها التالي:

- في المعابد تكريماً للآلهة وممارسة الطقوس والاحتفالات الدينية.
- في الجنائز.
- في صناعة الأدوية.
- في صناعة العطور.
- في الحمامات.

ويمكن استعراض أهم الشواهد التاريخية التي ذكرها الكتاب الكلاسيكيون المتعلقة بالبخور منذ القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي. فخلال العصر البطلمي في مصر (٣٢١-٣١ ق.م) نظمت كثير من الاحتفالات ذات الطابع السياسي والديني مثل حفل ديميتريا (Demetria)، وحفل الباسيليا (Basilca)، وحفل البطوليمايا (Ptolenaca). ويمثل حفل البطوليمايا نموذجاً لهذه الاحتفالات التي هدفت إلى إبراز القوة العسكرية والاقتصادية للدولة من خلال استعراض الجنود والإنفاق الباذخ لإبهار الحضور. وبدأ بإقامته الملك بطليموس فيلادلفيوس عام ٢٧٩ ق.م، للاحتفال بذكرى مرور أربعة أعوام على وفاة والده. وقدم أثينايسوس Athenaeus وصفاً لهذا الاحتفال، تناول فيه الكميات الضخمة من الأواني الفضية والذهبية، التي حوت كميات كبيرة من البخور والمر وغيرها من المنتجات العربية^(٢).

(١) حول استخدام واستهلاك البخور في المجتمعات القديمة، انظر. Nigel Groom, Frankincense and Myrrh. A Study of the Arabian Incense Trade, London: Longman 1981, pp. 1-21. محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة - الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩م، ص ١٤٥-١٦٨. Morley, Trade in classical Antiquity, pp. 39-43.

(٢) مصطفى كمال عبدالعليم. «بطليموس الثاني والاحتفال بعيد البطوليمايا» الجمعية التاريخية المصرية، ١٩ (١٩٧٢م)، ص ٢٩٧-٣٢٤.

وخلال الفترة الرومانية نذكر الكمية الضخمة التي أحرقها الإمبراطور الروماني نيرون (٣٧-٦٨ م) في جنازة زوجته يوبيا، التي ذكر بليني^(١) أنها تفوق ما ينتجه العرب في عام واحد، أي ما يعادل حوالي ٢٥٠٠ طن من اللبان^(٢). كذلك تبرز عدداً من الشواهد التي تناولت تقديم كميات ضخمة من حاصلات الجزيرة العربية إلى القادة الإغريق أو الرومان خلال مراحل زمنية مختلفة، مثل:

- الحادثة الأولى تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد حين ذكر هيرودوت تقديم العرب هدايا للملك الأخميني داريوس الأول (٥٢١-٤٨٦ ق.م) تتضمن ألف تالنت^(٣) من البخور سنوياً^(٤).
- الحادثة الثانية تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد خلال فتح الإسكندر المقدوني لمدينة غزة، وحصوله على كميات ضخمة من البخور، أرسل منها ٥٠٠ تالنت من اللبان و١٠٠ تالنت من المر إلى معلمه ليونيدس لإحراقها من أجل الآلهة^(٥).
- الحادثة الثالثة ارتبطت بحصار دميتريوس للبتراء سنة ٢١٢ ق.م، وتقديم الأنباط كميات من البخور والجمال لشراء حرياتهم^(٦).

(١) Gaius Plinius Secundus ولد في كومو (٢٣-٧٩ م)، واشتهر باسم بليني الأكبر، وتقلد عدد من المناصب العليا في الإمبراطورية. وكتب الكثير من الأعمال العلمية من أشهرها كتاب «التاريخ الطبيعي»، انظر Groom, Frankincense and Myrrh, p. 77-78

(2) Pliny, Natural History. trans. by H. Rackham. Cambridge, 1963, 12.41.84, Groom, Frankincense and Myrrh, p. 159-161

(٣) تساوي التالنت حوالي ٢٥,٥ كيلوغراماً.

(4) Herodotus, The History of Herodotus, trans. by A. D. Dodley, London: Loeb classical library 1981, 3.97

(5) Plutarch, Lives. Live of Alexander. trans. by John Dryden, The Classical Archive, <http://classics.mit.edu/Plutarch/alexandr.html>, 23/9/2010, ch 25.

(6) Diodorus Siculus, Library of History, Trans. by C. H. Oldfather London: Loeb classical Library 1935, 19.97, 4-98.1

• الحادثة الرابعة وقعت خلال حصار أنطيوخس الثالث للجرهاء عام ٢٠٥ ق.م، وحصوله على فدية ضخمة تمثلت في ١٠٠٠ تالنت من اللبان و٢٠٠ تالنت من المر. حيث يذكر بوليبيوس: «استصدار الجرهاءيين مرسومًا بتكريم أنطيوخس، وإهدائه خمسمئة قطعة من الفضة، ومئة قطعة من اللبان، ومئتي قطعة مما يسمونه عبق البخور»^(١).

تقدم هذه الشواهد نماذج تاريخية على ذكر البخور خلال العصور الكلاسيكية وربطه بالجزيرة العربية، وهي جزء من الأدلة التي سيقى للدلالة على الثراء الفاحش للجزيرة العربية، ولكن يجب ملاحظة أن هذه النماذج تعد حالات فردية، امتدت على مدى أربعة قرون، ولا تعبر عن تجارة الجزيرة.

الكتاب الكلاسيكيون وتجارة البخور

بدأ الكتاب الكلاسيكيون في الحديث عن تجارة الجزيرة العربية منذ القرن الخامس قبل الميلاد، ومن أبرز الكتاب الكلاسيكيين الذين تحدثوا عن تجارة الجزيرة ومنتجاتها:

- هيرودوت / Herodotus ٤٢٠ ق.م
- ديودور / Diodorus^(٢) ٨٠-٢٨ ق.م
- سترابو / Strabo^(٣) ٦٤ ق.م-٢٥ م
- بليني / Pliny ٢٣-٧٩ م

(١) Groom, Frankincense and Myrrh, p. 195.

(٢) مؤرخ وموسوعي إغريقي (حوالي ١٠٤-٢٠ ق.م). ولد في جزيرة صقلية. عاش في روما وسافر إلى عدد من الولايات الرومانية. ألف «المكتبة التاريخية» في ٤٠ مجلدًا، نقل معظم مادته من الكتب التي رجع إليها، انظر Boia, Great Historians from Antiquity to 1800, pp. 185-186

(٣) ولد في آسيا الصغرى (حوالي ٦٤ ق.م-٢٦ م)، وهو جغرافي وفيلسوف رواقى من أنصار الإمبراطورية الرومانية، وتقلد عددًا من المناصب في الإمبراطورية. قام برحلات كثيرة وألف موسوعته المشهورة «الجغرافية» في ٤٧ مجلدًا، انظر Boia, Great Historians from Antiquity to 1800, pp. 194-195

- كتاب الطواف حول البحر الأريتيري القرن الأول الميلادي^(١)
- فتىوس القسطنطيني^(٢) ٨١٠-٨٩٣م

يعد هيرودوت أول من تناول صادرات الجزيرة العربية من البخور، حين ذكر إنتاج الجزيرة لعدد من المواد العطرية مثل اللبان والمر والقرفة، ومعاناة العرب في حصاده، وأشار إلى ثراء العرب، وإعفاء الملك الأخميني دار الثاني لهم من دفع الضرائب مقابل تقديمهم هدية ضخمة من اللبان سنوياً، تمثلت في كمية قدرها ألف تالنت من البخور^(٣). وبعد هيرودوت تواترت الكتابات الكلاسيكية عن الثراء العربي عند الكتاب الإغريق والرومان، وأبرز الكتاب الذين تحدثوا عن الجزيرة العربية وثرائها، المؤرخ والجغرافي أجاثارخيدس^(٤)، خلال وصفه لجنوب الجزيرة ومناطق إنتاج اللبان، حيث كتب: ومن تجارتهم أصبح السبئيون والجرهاتيون من أكثر الناس ثراءً، وكان لديهم عدد كبير من المقتنيات الذهبية والفضية، مثل المقاعد والأسرة ذات الثلاثة مقاعد والأقداح. كما كان لديهم أكواب للشرب ومنازل باهظة الثمن، حتى أن الأبواب والجدران والأسقف كانت مطرزة بالعاج والذهب والفضة ومرصعة بالأحجار الكريمة^(٥).

(١) هناك اختلاف بين الباحثين حول تاريخ كتابة هذا الدليل، ولكن المرجح الآن هو النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، انظر عبد الله حسن الشيبه. دراسات في تاريخ اليمن القديم ٠٠ - تعز: مكتبة الوعي ٢٠٠٠، ص ٢٠٧-٢٢٣.

(٢) البطريرك فتىوس القسطنطيني Photius of Constantinople (٨١٠-٨٩٣ م) بطريرك مدينة القسطنطينية (٨٥٧-٨٨٦م) وقام بدور سياسي كبير. ألف عدداً من الكتب من أشهرها «المكتبة»، نقل فيه أجزاء من مؤلفات الكتاب الإغريق والرومان، انظر Groom, Frankincense and Myrrh, p. 67-68.

(3) Herodotus, 3.97.

(٤) Agatharchides جغرافي ونحوي عاش في الإسكندرية خلال القرن الثاني قبل الميلاد وألف عدداً من الكتب أحدها عن البحر الأحمر، ولكن كتبه مفقودة. Groom, Frankincense and Myrrh, p. 66.

(5) Strabo, The Geography of Strabo, trans. by H. L. Jones London, Loeb classical Library 1930, 16.14.4.

وهذا النص شبيه بالنص الذي أورده البطريق فتيوس القسطنطيني نقلاً عن نفس المؤلف، حيث يورد «لا يوجد شعب يتمتع بالثراء مثل السبئيين والجرهانيين، نظراً لعملهم مستودعاً ضخماً لكل البضائع القادمة من آسيا وأفريقيا التي تدخل ضمن البضائع الفاخرة. وقد جعل هؤلاء الأشخاص سوريا البطلمية غنية بالذهب. وهم بفضل نشاط الفينيقيين وبالإضافة إلى آلاف الأشياء، نجحوا في السيطرة على أسواق المنتجات الفاخرة. هذا ولم يقتصر غناهم على الأعمال المنقوشة والأكواب دقيقة الصنع، بل تعداها ليشمل أسرتههم وطاولاتهم ثلاثية الأرجل. كما وصل قمتهم في الأغراض المنزلية الأخرى التي هي عادية بالنسبة لنا. ويبدو أن كثيراً منهم يمتلك ثروات ملكية. ويقال إنهم قاموا ببناء كثير من الأعمدة من الذهب أو الفضة؛ بالإضافة إلى أن أسقفهم وأبوابهم زينت بحفر غائرة محشوة بالأحجار الكريمة ... وباختصار يوجد اختلاف كبير بين ثرائهم وثراء الآخرين»^(١).

ويزودنا سترابو بمعلومات مختلفة عن ثراء سكان الجزيرة العربية، حيث يشير أثناء حديثه عن حملة إيلوس جاليوس (Aelius Gallus) إلى أن هدف الحملة هو رغبة الإمبراطور قيصر في كسب العرب أو إخضاعهم، بسبب التقارير التي تحدثت عن ثرائهم الفاحش، التي برزت منذ وقت طويل، نتيجة بيعهم البخور وجميع الأحجار الثمينة مقابل الذهب والفضة، وعدم رغبتهم في التعامل مع الأشخاص الخارجيين في جميع ما حصلوا عليه من الذهب والفضة، وذلك لأن القيصر رغب في التعامل مع أصدقاء أثرياء أو السيطرة على أعداء أثرياء^(٢).

إن أسطورة الثراء العربي لم تقتصر على اشتغالهم في تجارة المواد العطرية

(1) Photius, frag. 102, Groom, Frankincense and Myrrh, p. 71.

(2) Strabo, 16.4.24.

والبخور، بل نجد كاتباً مثل فتىوس القسطنطيني ينقل من كتاب أجاثاراخيدس «حول البحر الأريتيري» مقتطفات واسعة، يشير فيها إلى وجود كميات كبيرة من الذهب في مساحات شاسعة من الجزيرة العربية على شكل كتل من الذهب الخالص أو المخلوط خطأً يسيراً، وأنه يباع بثمان بخس حتى إن وزنة الذهب تستبدل بمثلها من الحديد، وبثلاثة أمثالها من البرونز، وعشرة أمثالها من الفضة. كما تحدث فتىوس عن نهر جار ينقل معه غبار الذهب بكميات كبيرة، ولكن الناس لا يعرفون كيف يستخرجونه^(١).

وآخر الكتاب الكلاسيكيين الذين قدموا وصفاً لتجارة الجزيرة العربية هو مؤلف كتاب «الطواف حول البحر الأريتيري»، لكن الملاحظ عدم إشارته إلى موضوع ثراء الجزيرة العربية من البخور والعطور، وربما يعود ذلك في المقام الأول إلى ازدياد المعرفة بالجزيرة ومناطقها نتيجة تطور معرفة الرومان والملاحين الإغريق بتجارة المنطقة، والتكاليف الخاصة بالتجار، أو لتقلص مداخيل العرب من التجارة نتيجة تطور الملاحة البحرية. كما يبرز احتمال عدم تأثر التجارة البرية بتطور الملاحة نظراً لطبيعة منتجات الجزيرة ومواسم حصادها، وأن التطور الكبير في التجارة البحرية حدث مع الهند، وليس مع الجزيرة العربية، وذلك بسبب صعوبة الملاحة في البحر الأحمر في بعض مواسم الحصاد ما يتيح لتجار الجزيرة العربية نقل منتجاتهم قبل وصول السفن البحرية أو بالتزامن معها^(٢).

(1) Photius, frag. 96, Groom, Frankincense and Myrrh, p. 69.

(٢) ترد إشارات إلى العرب وتجارهم في أشعار هوميروس وهسيودوس وإيسخيلوس، وكذلك عند الجغرافيين ثيوفراستوس وإراتوستينيس وأرتيميدوروس وبطليموس الجغرافي، وغيرهم من كتاب العصر الكلاسيكي، انظر لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة. مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام -٠٠ بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٩، ص ١٩٥-٢١٦.

وفيما عدا الكاتب بليني، الذي سوف يفرد بالدراسة لاحقاً، فإن هؤلاء الكتاب أبرز من كتب عن تجارة البخور في الجزيرة العربية، حيث تناول عدد منهم جغرافية الجزيرة أو بيئتها، وكان لهم تعليقات موجزة على تجارة الجزيرة العربية، تمثل امتداداً للكتابات السابقة بالنظر إلى تجارة الجزيرة العربية^(١). ومع القرن الثاني الميلادي تقلص الاهتمام بالتجارة، نتيجة عدد من العوامل التي أدت إلى تقلص التجارة بدءاً من نهاية هذا القرن، لأسباب يمكن تلخيصها في التالي:

- توقف التوسع الروماني، ووصوله إلى أوجه مع بداية القرن الثاني الميلادي، ما أدى إلى تقلص الغنائم المحصلة من الحروب الخارجية والقدرة على الإنفاق.
- بدء الحروب الأهلية في الإمبراطورية الرومانية مع نهاية القرن الثاني، وبدأت الحروب مع الدولة البارتية.
- انتشار النصرانية وسعي أتباعها إلى القضاء على الرموز الوثنية، ومنها إحراق البخور في المعابد والاحتفالات الدينية.

بليني والتجارة العربية:

تقدم كتابات بليني، (٢٢-٧٩م)، وهو عسكري ومحام وقائد لأسطول روماني، أفضل سجل مفصل عن منتجات الجزيرة العربية وأسعارها، ومراحل التجارة والمسافة التي تقطعها. وقد ذكر بليني أنه نتيجة لازدياد الطلب على المر واللبان أصبح يجمع مرتين في السنة، أحدهما في الصيف، وهو موسم الحصاد الرئيس، والثانية في موسم الربيع^(٢). ويعد بليني من منتقدي التجارة الشرقية، وهو القائل باستنزافها للخزينة الرومانية، كما سوف نرى لاحقاً.

(1) Young, Rome's Eastern Trade, p. 106.

(2) Groom, Frankincense and Myrrh, pp.146-148, Young, Rome's Eastern Trade, pp. 105-106.

كان بليني، بصفته أحد المسؤولين الرومان، على دراية بالأمور المالية في الإمبراطورية الرومانية، ما يفترض لتقديراته عن تجارة الجزيرة العربية صدقية كبرى، ولكنها ليست كذلك. فقد قدر الإنفاق الروماني على تجارة الجزيرة العربية والهند والصين بحوالي ١٠٠ مليون سيسترز^(١)، وفي جزء آخر يرى أن حجم التجارة مع الهند يبلغ على أقل تقدير حوالي ٥٠ مليون سيسترز أو ما يعادل حوالي بليون يورو^(٢)، تتفق على الكماليات في الاحتفالات والمعابد والزينة، التي تباع في الإمبراطورية الرومانية بثمن يبلغ مئة مرة ضعف ثمنها الأصلي^(٣).

كان اللبان والمر أهم صادرات الجزيرة العربية، وبدرجة أقل البلسم والقرفة، بحيث مثلت نسبة اللبان حوالي ٦٠٪ والمر ٣٠٪ من الصادرات، وباقي السلع حوالي ١٠٪^(٤). ووضع بليني قائمة بأسعار المنتجات المصدرة من الجزيرة العربية مثل، اللبان، والمر، والقرفة، والبلسم، التي تمثل سعر التجزئة في روم^(٥). ويذكر بليني معلومات حول وجود أنواع مختلفة من اللبان والمر، حيث ذكر بليني أن سعر المر الأريتيري هو ١٦ ديناراً للرطل، و١٦،٥ ديناراً لمر ساكني الكهوف، و١٢ ديناراً للمر المعطر والمر المزروع^(٦)، في حين يصل

(١) Pliny, 12.41.84. يساوي الدينار الروماني حوالي ٤٥,٤٥٤ سيسترز.

(2) Pliny, 6.26.101, Anna M. Kotarba-Morley, 'Maritime connections of the Arabian Peninsula in the network of Indo-Roman trade – study of ports and harbours,' International Symposium on the Historical Relations between Arabia, the Greek and Byzantine World (5TH c. BC – 10TH c. AD), Riyadh, 6-9 December 2010.

(3) Pliny, 6.26.101.

(4) Groom, Frankincense and Myrrh, p. 159.

(٥) 221 p. Groom, Frankincense and Myrrh, p.154, Young, Rome's Eastern Trade, p. 221. انظر أيضاً جدول أسعار هذه السلع عند كل من Groom, Frankincense and Myrrh, p.154-155, Young, Rome's Eastern Trade, p. 222

(6) Pliny, 12.35.71.

سعر البلسم الفلسطيني إلى ١٠٠٠ دينار وسعر القرقة بين ٣٠٠ و ١٥٠٠ دينار للرطل^(١). وهذه الأرقام تدل على تدني أسعار اللبان والمر مقارنة بالمنتجات الأخرى، وهو ما سوف نفضله عند مناقشة أسعار هذه السلع.

ويلاحظ من أسعار بليني تدني أسعار اللبان والمر، أهم عنصرين في صادرات الجزيرة العربية، مقارنة بالسلع الأخرى، مثل البلسم والقرقة. فقد حدد سعر رطل اللبان حسب الجودة بستة دنانير وخمسة دنانير وثلاثة دنانير. أما رطل المر فتراوحت أسعاره بين ١٢ و ٣,٥٠ دنانير، أي أن سعر اللبان الذي يمثل ٦٠٪ من الصادرات يعادل نصف سعر المر. وقد ظهر اختلاف بين الباحثين حول هذه الأرقام، وهل تمثل المبالغ النقدية أو الذهب أو المقايضة بأسعار أخرى. ففي حين يرى جروم عدم إمكان تصدير سلع رومانية تكفي لتغطية الواردات، وأن معظم الاستيراد كان يغطى بالذهب، ما أدى إلى استنزاف السبائك الذهبية، وأسهم في انخفاض قيمة العملة، وانهايار الاقتصاد الروماني^(٢). لكن الدراسات الحديثة تنتقد هذه النظرة لعدة أسباب سنفصلها لاحقاً. فعلى سبيل المثال يؤكد هاريس أن الجزء الأكبر من التبادل التجاري لم يكن يعتمد على الذهب والفضة، بل كان عن طريق السندات والقروض، حيث تشير برديات Muziris^(٣) إلى شراء أحد المقرضين سفينة أحد التجار القادمة من الهند بسبعة ملايين سيسترز^(٤). وربما يكون

(١) يرى جروم أن القرقة الواردة عند بليني ربما كانت تستورد من الساحل الصومالي وتختلف عن القرقة التي

استوردت لاحقاً من الهند Groom, Frankincense and Myrrh, pp. 154-155

(٢) Groom, Frankincense and Myrrh, pp. 157-158، قارن يونغ، الذي يفند هذه النظرية Young, Rome's Eastern Trade, pp. 134-135

(٣) ميناء تجاري على الساحل الجنوبي للهند بالقرب من مدينة كيرلا، واشتهرت خلال العصور القديمة بتجاريتها مع الجزيرة العربية وروم والصين.

(٤) W.V. Harris, «A Revisionist View of Roman Money» JRS, 96 (2006) p.16. كرس هاريس المقالة لنقد الاتجاه السائد حول التعامل التجاري في الإمبراطورية الرومانية واعتماده بشكل أساس على النقود الذهبية والفضية.

المقصود بهذه الأرقام هو العقود التي تباع للحصول «على عقود بيع حق جباية الضرائب في البحر الأحمر، أو في خطوط التجارة الرئيسية الأخرى»^(١).

تكاليف الإنتاج والتصدير:

لعل أفضل وصف وتقدير لتكاليف نقل البخور عبر الطرق البرية هو الوصف الذي قدمه بليني خلال وصف طرق ومراحل نقل اللبان والمر من مناطق الإنتاج في جنوب الجزيرة العربية وحتى وصوله إلى مراكز الضرائب في الإمبراطورية الرومانية، مثل أرسينوى (السويس) وميوس هورموس (أبو شعر القبلي) وبرينقي (الحراس) وغزة أو غيرها من المراكز الرومانية. فهو يذكر مرور قوافل التجارة بحوالي ٦٥ مرحلة منذ مغادرتها عاصمة القتبانيين تمنع وحتى تصل إلى غزة في رحلة تمتد على طول ١٤٨٧،٥ ميلاً، وكانت كل مرحلة مزودة بمحطات استراحة مجهزة بالمياه والمؤن^(٢)، يدفع التجار خلالها كثيراً من الضرائب المقدرة من قبل الملك والكهنة وموظفي الملك والحراس ومرافقيهم وحراس الأبواب والخدم، ويظل التجار يدفعون حتى وصول السلع إلى مراكز الإمبراطورية الرومانية (انظر جدول الضرائب). كما تولى عدد من الأسر والجماعات احتكار إنتاج البخور، مثل وجود ثلاثة آلاف أسرة معينة تحتكر زراعة البخور المعيني وتصديره، ولا تسمح لأحد بالاقتراب من مناطق إنتاجه، ما أكسب هذه الأسر صفة دينية حتى لقبوا بـ: «المقدسيين»^(٣).

والنص التالي من بليني يقدم تصوراً عن مراحل تجارة اللبان منذ حصاده وحتى

(١) الحسين أحمد عبد الله، «ميناء برينقي ونشاطه التجاري في القرن الميلادي الأول»، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة الكويت، ٢٠٠٩، ص ٢٣.

(٢) Pliny, 12.32.63 صالح ناصر العمري، طريق البخور القديم. من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه. صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة ٢٠٠٤، ص ٣٢-١٣٩.

(3) Pliny, 12.30.54.

تصديره، والتكاليف التي يتكبدها التجار حتى يصل إلى مراكز الاستهلاك في الإسكندرية، حيث يذكر إنه بعد جمع اللبان كان ينقل على الجمال إلى سوباتا، وهناك تفتح أبواب المدينة للسماح بدخوله، وقد جعل الملك تحول الجمال المحملة عن الطريق المحدد لها جريمة كبرى يعاقب عليها. وفي سوباتا تقدر عشر الكمية بدون وزن يحصلها كهنة الإله المسمى سايس، ولا يسمح بوضع البخور في السوق حتى تحصل (ضريبة العشر)، وكان يأخذ العشر لتغطية المصاريف المحلية. وفي الحقيقة فإنه خلال أيام محدودة كان الإله يقدم حفلات طعام للضيوف. ولا يمكن تصدير البضاعة إلا بواسطة القتبانيين، ولذلك تدفع ضريبة أخرى لملكهم... وكانت عاصمتهم تمنع تبعد ١٤٨٧,٥ ميلاً عن مدينة غزة في فلسطين على ساحل البحر المتوسط، وتنقسم الرحلة إلى ٦٥ مرحلة مع وجود محطات لانتظار الجمال.

كما تقدم كميات محددة من البخور إلى الكهنة أيضاً، وخدم الملك، وبالإضافة إليهم كان هناك الحراس ومعاونوهم، وحراس الأبواب وخدمهم الذين يحصلون على جزء من البضاعة، وفي الحقيقة فهم يدفعون على طول الطريق، ففي مكان يدفعون للحصول على المياه، وفي مكان آخر للعلف، وكذلك للحصول على الخدمات الأخرى. وهكذا تصل إجمالي تكاليف الجمل الواحد إلى حوالي ٦٨٨ ديناراً قبل الوصول إلى البحر المتوسط، وهناك أيضاً تدفع ضريبة إلى مسؤولي الجمارك في إمبراطوريتنا. ولذلك فإن سعر أفضل أنواع اللبان يصل إلى ستة دنانير، وخمسة دنانير للدرجة الثانية، وثلاثة دنانير للدرجة الثالثة^(١).

ومن خلال تتبع نص بليني كان على التجار تحمل الكثير من المشقات والمصاعب في سبيل نقل التجارة، ولعل من أبرزها طول المسافة التي يتعين قطعها لنقل التجارة من جنوب الجزيرة العربية إلى مناطق الاستهلاك في البحر المتوسط، ومرورها بمناطق

(1) Pliny, 12.32.63-64.

خاضعة لعدد من الدول والممالك والقبائل، فرضت رسوماً وإتاوات على مرور البضائع. كما يجب الالتفات إلى النفقات المطلوب دفعها لنقل البضائع من تكاليف توفير الإبل وتزويدها بالأعلاف والمياه وتوفير الطعام وعمليات الحراسة، خاصة عندما نعرف أن مسافة الرحلة امتدت لأكثر من ١٤٨٧،٥ ميلاً، حسب تقديرات بلييني^(١)، وسط ظروف وطرق صعبة يكتنفها كثير من المخاطر؛ لذا فإن تجارة الجزيرة العربية امتازت بأنها تجارة طويلة المدى long distance trade، ما أدى إلى وجود عوامل كثيرة تتحكم بها^(٢). ولذلك فإن الدخل المتحقق من التجارة لم يكن كبيراً ليحقق ثروات طائلة للعرب نتيجة توزيعه على أطراف كثيرة في المجتمع.

جدول بالضرائب التي يخضع لها البخور بناء على ما أورده بلييني في كتاباته

المستفيد	السبب	
١	المعبود سابين	للمعبود سابين ولإقامة الحفلات
٢	الملك	ضريبة الملك
٣	كهنة المعبد	ضريبة المعبد
٤	كاتمو أسرار الملك	خدمات
٥	الحراس ومرافقوهم	خدمات
٦	حراس الأبواب والخدم	خدمات
٧	زعماء محليون	رسوم محطات القوافل
٨	الأفراد	خدمات الأعلاف والمياه
٩	رسوم العبور	ضرائب
١٠	الجمارك الرومانية	ضرائب

(١) Pliny, 12.32. حول مراحل طرق البخور، انظر العمري، طريق البخور القديم، ص ٢٢-١٣٩.

(2) Morley, Trade in classical Antiquity, pp. 26-34.

يوضح الجدول المرفق بعض الضرائب والإتاوات التي يتوجب على التجار دفعها خلال رحلتهم الطويلة على طريق البخور، بالإضافة إلى المستجدات التي يمكن أن تحدث نتيجة اعتراض قطاع الطرق أو فقدانهم للدواب، ما يكبد التجار تكاليف إضافية.

التجارة العربية والاقتصاد الروماني:

حظيت التجارة الشرقية باهتمام القدماء والمحدثين بسبب طبيعة المنتجات المستوردة، الكتابات التي ذكرها الكتاب حول أسعارها، وأثرها على الإمبراطورية الرومانية. إن نظرة هؤلاء الكتاب للتجارة العربية ليس لها ما يسندها في الواقع، لعدة أسباب جوهرية تتعلق بطبيعة السلع التجارية، والاقتصاد والسياسة الرومانية، والمجتمع الروماني. وتوضح دراسة المصادر والمكتشفات الأثرية مجانية هذه المصادر للصدق، أو خطأ النظرة السائدة حول استنزاف التجارة الشرقية بشكل عام والعربية بشكل خاص للخزانة الرومانية. إن المتأمل في سلع الجزيرة العربية يجد أن معظم الصادرات تقتصر على سلعتين، هما اللبان والمر، تعادلان حوالي ٩٠٪ من الصادرات. ويلاحظ عدم إشارة الكتاب الكلاسيكيين إلى قيام أية صناعات عطرية في جنوب الجزيرة العربية، ما يرجح أنها كانت تصدر بشكلها الخام بسبب عدم إمكان حفظ العطور بعد تصنيعها لفترة طويلة^(١)، وكذلك عدم قدرتها على تحمل مشقات النقل البري. وقد أسهم ذلك في انتشار مصانع العطور في جميع مناطق الاستهلاك حول البحر المتوسط، فيذكر بليني إنتاج مشقات العطور عند البطالة والحراسة الكبيرة التي تحظى بها، ما يدل على أهميتها، وقبل ذلك نجد انتشار المصانع في جميع أنحاء العالم الإغريقي، مثل أثينا Athens وكورينثا Corinth، التي اشتهرت بجودة صناعتها لبعض أنواع العطور. ويوضح برون أن مدينة ديلوس

(1) Jean-Pierre Brun, «The Production of Perfumes in Antiquity: The Cases of Delos and Paestum», AJA, 104 (2000) pp. 277.

Delos اكتسبت دوراً كبيراً في صناعة العطور، بعد أن جعلها الرومان ميناءً حراً، بحيث وفد إليها التجار من كل أنحاء الإمبراطورية^(١). كما أكد بليني أهميتها عندما ذكر أنه «في الأيام القديمة، كانت أفضل العطور تأتي من ديلوس»^(٢).

إن المكتشفات الأثرية والرسوم التي عثر عليها في بومبي Pompeii وهيركولنيوم Herculaneum في كامبانيا Campania في إيطاليا وغيرها من المدن الرومانية، وخاصة روما، تشير إلى تجارة مزدهرة في مجال صناعة وإنتاج المواد العطرية^(٣). كذلك نجد مصانع العطور تنتشر في مناطق كثيرة من الشرق الأوسط خلال الفترة الرومانية، مثل فلسطين، حيث عثر على مصانع في القدس وماسادا^(٤). كما وجد في البتراء شواهد على ممارسة صناعة العطور وتعبئته في قوارير تمهيداً لتصديره^(٥). لقد أوجدت هذه التجارة مصانع وأسواقاً مزدهرة قامت على إنتاج العطريات واعتمد عليها عدد غير قليل من الحرفيين والتجار في الإمبراطورية الرومانية، كما أسهمت في زيادة خزانة الدولة الرومانية من خلال الضرائب المحصلة عليها.

والجزء المهم هو تقديرات بليني وعلاقتها بالواقع الفعلي لهذه التجارة، وهل جميع الأموال التي ذكرها، مئة مليون أو خمسون مليون سيسترز، كانت تصدر للخارج؟ أم أن الجزء الأكبر كان يمثل تجارة المنتجات الشرقية داخل الإمبراطورية الرومانية؟ إن النص الذي ساقه بليني يشير إلى «استنزاف الهند لمبلغ ٥٠ مليون سيسترز من الإمبراطورية

(1) Brun, «The Production of Perfumes in Antiquity» p. 282.

(2) Pliny, 13.4.

(٣) حول المدن والمقاطعات الرومانية في إيطاليا التي اشتهرت بصناعة العطور، انظر:

Brun, «The Production of Perfumes in Antiquity» pp. 290-291.

(4) Brun, «The Production of Perfumes in Antiquity», p. 280.

(5) Zeyad Al-Salameen, «Frankincense and the Nabataeans: Historical and Archaeological Evidence», Journal of King Saud Univ. Tourism and Archaeology 1 (2009) pp. 3-4.

في مقابل بضائع (هندية)»^(١). وهذا يعني، إذا سلمنا بهذه الأرقام، أن المبلغ المتبقي، ٥٠ مليون سيسترز، كان يصرف على البضائع المستوردة من الجزيرة العربية وأفريقيا. لكن الكتابات الكلاسيكية تقدم صورة مختلفة، فيشير مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأريتري إلى أن جزءاً من التجارة الشرقية كان يتم عن طريق نظام المقايضة. حيث يذكر أن ميناء موزا كانت تستورد البضائع التالية: جميع أنواع الأقمشة الأرجوانية وقماش المسلمين والعباءات والأغطية الزعفران والمراهم والنبيد والقمح، وكذلك أواني الذهب والفضة والنحاس^(٢).

ويؤكد المقايضة التجارية قطع الأوستراكا (ostraca) التي عثر عليها في ميناء ميوس هورموس، التي تذكر صادرات مصر من المواد الطبيعية والمواد المصنعة إلى الهند^(٣). وكذلك أرشيف نيكانور، تاجر يوناني مقيم في مدينة قفط، وله وكلاء تجاريون في موانئ البحر الأحمر، مثل ميوس هورموس وبرينقي، وكان اهتمامه منصّباً على تزويد الجنود والمحطات بالأغذية والمستلزمات الضرورية، وذلك خلال الفترة من ١٨ ق.م حتى عام ٦٩ م^(٤). وتوضح الوثائق أن إدارة الموانئ والإشراف على الطرق لم يكن يكلف الخزينة الرومانية أو خزينة الولاية أية نفقات، لسبب وجيه وهو أن التجار كانوا يدفعون تكاليف صيانة الطرق وحراستها وإقامة المراكز من خلال الرسوم المقررة عليهم. ففي صحراء

(1) Pliny, 6.26.101.

(2) حسين على الحبشي ونجيب عبدالرحمن شمير. الطواف في البحر الأحمر ودور اليمن البحري - عدن: جامعة عدن ٢٠٠٤م، فصل ٢٤.

(3) الحسين، «ميناء برينقي ونشاطه التجاري في القرن الميلادي الأول»، ص ١٦-٢٠. C. Howgego, «The supply and use of money in Roman world 200 BC-AD 300», JRS 82 (1982) p. 6

(4) الحسين، «ميناء برينقي ونشاطه التجاري في القرن الميلادي الأول»، ص ٧. Tony Judd, «The Trade with India through the Eastern Desert of Egypt under the Roman Empire», The Archaeology of the Eastern Desert, 2007, http://archaeology-easterndesert.com/assets/applets/LYSA_Judd.pdf, 10/1/2011, pp. 15-16

مصر الشرقية فرضت رسوم العبور على الجميع، فكان قائد السفينة يدفع ٨ دراخمتين والبحار ٥ دراخمتين والمرافق ٥ دراخمتين والرجل دراخمة والمرأة دراخمتين والجمل أوبولاً واحداً والحمار أوبولين اثنين (يساوي الدرهم ستة أوبولات) ^(١).

وإذا عدنا مرة أخرى إلى صادرات الجزيرة العربية التي يشكل اللبان والمر العنصرين الرئيسيين فيها، يلاحظ تدني أسعارها مقارنة بأسعار البضائع الأخرى مثل البلسم الفلسطيني والسوري والقرفة، التي يصل سعر الرطل منها إلى حوالي ١٠٠٠-١٥٠٠ دينار، وحتى سعر المر الأريتيري كان يعادل ضعف سعر المر العربي حسب شهادة بليني ^(٢). وهناك شهادة بليني الذي يذكر أن السلع الشرقية تباع بأضعاف ثمنها الأصلي مئة مرة في الإمبراطورية الرومانية ^(٣). ويعود ذلك إلى وجود عدد من الرسوم، مثل رسوم العبور ورسوم التصدير، المقررة في المناطق التي تعبرها التجارة ^(٤)، ما أدى إلى ارتفاع هذه السلع داخل الإمبراطورية.

وهناك نقطة مهمة تتعلق بتجارة الجزيرة العربية، وهي أن التركيز الأكبر في تحصيل الضرائب كان منصباً على التجارة الشرقية الخاصة بالهند والصين، حيث تمثل وارداتهما الجزء الأكبر من التجارة الشرقية. هذه التجارة التي بدأت في التحول إلى الطريق البحري مع القرن الثاني قبل الميلاد نتيجة جهود البطالمة البحرية في البحر الأحمر، تطورت تطوراً كبيراً خلال القرن الأول قبل الميلاد نتيجة استخدام الرياح

(١) عبد الغني. شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، ص ٥٨-٥٩. Judd, «The Trade

with India through the Eastern Desert» pp. 13-14

(2) Pliny, 12.35.63-65.

(3) Pliny, 6.26.101.

(٤) حول الرسوم الجمركية ورسوم العبور، انظر: الحسين. «ميناء برينيقى ونشاطه التجاري في القرن

الميلادي الأول»، ص ١٥-١٦.

الموسمية^(١). ومن الواضح أنه مع تقدم الفترة الزمنية أصبح الجزء الأكبر ينقل عن طريق البحر. وربما يفسر هذا الأسباب التي دفعت بالإمبراطور الروماني تراجان (٩٨-١١٧ م) إلى تأسيس أسطول بحري روماني في البحر الأحمر، بهدف حماية الملاحة البحرية من القرصنة^(٢). لكن السبب الرئيس ربما يعود إلى رغبة الإدارة الرومانية وبعض المتنفذين الرومان في احتكار العائدات الضريبية للتجارة الشرقية.

وهذا يفسر اهتمام الرومان بوضع محصلي الضرائب في الموانئ البحرية على البحر الأحمر، مثل برينيقى وميوس هورموس وأيلة، بل حسب رأي بعض الباحثين وضع محصلي رومانيين في الميناء النبطي لوكي كومي^(٣)، الذي ربما كان الهدف الأساس منه هو منع السفن من التهرب الضريبي. وهذا ما نفتقده في المراكز النبطية الداخلية، مثل البتراء أو بصرى، حيث لا توجد أية إشارة إلى وجود محصلي رومان في هذه المدن. وهذا ما دفع يونغ إلى الاعتقاد بعدم تحصيل ضرائب رومانية على تجارة البخور البرية the Arabian incenses which had been brought by land from southern Arabia into the empire in fact never paid the tetarte (tax)“^(٤). كما يجب الإشارة إلى النقطة السابقة، وهي أن جزءاً كبيراً من هذه التجارة كان

(١) مصطفى كمال عبد العليم . «دور البحر الأحمر في تاريخ مصر على عهد البطالمة» البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، أبحاث الأسبوع العلمي الثالث -٠ القاهرة : جامعة عين شمس، ١٩٨٠م، ص٩-٢٧، نقولا زيادة، «دليل البحر الإترقي وتجارة العربية البحرية»، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، ط١، ج١، جامعة الملك سعود، ١٩٨٤م، ص٢٥٩-٢٧٧.

(2) Groom, Frankincense and Myrrh, p. 151.

(٣) هناك اختلاف بين الباحثين على هوية المحصل الموجود في لوكي كومي وهل هو نبطي أم روماني، خاصة وأن الأنباط استخدموا كثيراً من المصطلحات الرومانية، انظر: Young, Rome's Eastern Trade, pp. 208-209, 95-96.

(4) Young, Rome's Eastern Trade, p. 209.

يتداول داخل الإمبراطورية الرومانية، من خلال المصانع والوسطاء والتجار الكبار، أكبر المستفيدين من هذه التجارة، بالإضافة إلى العاملين في نقل التجارة براً وبحراً^(١). والنقطة المهمة هي أن المستفيد الأكبر من هذه التجارة هو الإمبراطورية التي تتحول التجارة فيها إلى ضرائب نقدية تعود على خزينتها بالدخل. فقد أشار سترابو إلى تحصيل ضريبة قدرها ٥٠٪ على واردات مصر من السلع الشرقية والأفريقية، بحيث تحصل نسبة ٢٥٪ عند الدخول، ونسبة ٢٥٪ عند التصدير من ميناء الإسكندرية^(٢).

إن استنزاف النقود وتصديرها إلى الخارج، حسب شهادة بليني أو الآخرين، لا يمكن إثباتها على أرض الواقع، فجميع التوقيبات الأثرية في الجزيرة العربية والهند لم تكشف عن كميات ضخمة من النقود، تشهد على وجود استيراد ضخم للنقود الرومانية. ومقارنة بالمناطق الأخرى خارج الإمبراطورية الرومانية نجد أن كميات النقود التي عثر عليها في ألمانيا وداشيا وبريطانيا ومناطق شمال أوربا تفوق ما كشف عنه في الجزيرة العربية أو الهند^(٣).

إن التحليل المنطقي للسياسة الإمبراطورية يدل على عدم خوف قياداتها من التجارة الشرقية، بما في ذلك تجارة الجزيرة العربية، والدليل هو عدم سن أيّ قوانين تحد من تدفق التجارة الشرقية على ولايات الإمبراطورية، أو وضع سياسية خارجية تهدف إلى

(1) Brun, «The Production of Perfumes in Antiquity pp. 299-302.

(٢) Strabo, 16.7.98, Julie Jenkins, «The Berenike customs archive and the organization of trade.» The Archaeology of the Eastern Desert, <http://www.archbase.com/berenike/UCs-tudentLA2.html>, 10/1/2011. قارن الحسين، ص ١٥، الذي يرى أن الرسوم الجمركية البالغة ٢٥٪ تمثل رسوم العبور من الموانئ المصرية على البحر الأحمر إلى النيل أو الإسكندرية، وهذا ربما يكون غير صحيح في ظل تحصيل مبالغ مالية محددة من كل شخص وحيوان، انظر Judd, «The Trade with India through the Eastern Desert.» pp. 13-14

(3) Howgego, «The supply and use of money in Roman world 200 BC-AD 300.» pp.5-6.

السيطرة على طرق التجارة الشرقية، ولكن العكس هو الصحيح، حيث نجدهم يسعون إلى تشجيع التجارة، بدليل الاهتمام الواضح بإنشاء الطرق والاستراحات والموانئ وتوفير الحماية العسكرية للتجار، ما يؤكد أن الاهتمام انصب في المقام الأول على تحصيل ضرائب التجارة الشرقية ومنع التهرب منها^(١). ويمكن الاستدلال على أهمية تنظيم العملية التجارية من خلال إنشاء «طريق تراجان الجديد» «Via Nova Trajan» بعد القضاء على مملكة الأنباط سنة ١٠٦ م^(٢)، الذي كان الطريق الرئيس للتجارة النبطية بين البتراء وميناء إيلة على خليج العقبة. إن سرعة اهتمام الرومان بتأهيل الطريق استهدف، إضافة إلى إحكام السيطرة السياسية على المنطقة، منع التجار والوسطاء من التهرب الضريبي. إن إدعاءات تسرب الأموال خلال القرن الأول الميلادي لها ما يسوغها بسبب نقص النقود المعدنية مع نهاية العصر الجمهوري حوالي ٧٩ ق.م، بعد عقود من الزيادة المطردة في كميات النقود نتيجة التوسع الإمبراطوري. ويستدل على ذلك من مطالبات بعض أعضاء مجلس الشيوخ بسن قانونين ضد تسرب الأموال خارج إيطاليا، مثل الطلب المقدم من شيشرون Cicero إلى مجلس الشيوخ عام ٦٣ ق.م بمنع تصدير الذهب والفضة، ما دفع الرومان إلى سك عملتهم الخاصة عام ٤٦/٤٨ ق.م^(٣).

كما يؤكد هاريس أن الاقتصاد الروماني لم يكن قائماً على استخدام النقود المعدنية في جميع تعاملاته، وأن الذهب لم يكن جزءاً من أساليب الدفع المالية قبل حكم قيصر^(٤)، وكان الاقتصاد يعتمد اعتماداً كبيراً على القروض البنكية والصكوك

(1) Young, Rome's Eastern Trade, p. 204.

(2) Virtual Karak Resources Project, «Trajan and the Via Nova,» <http://www.vkrp.org/studies/historical/roman-roads/info/new-way.asp>, 15/1/2011.

(3) Harris, «A revisionist view of Roman money,» p. 18.

(4) Harris, «A revisionist view of Roman money,» p. 3.

وغيرها من المشتقات المالية المستخدمة في تلك الفترة، ويستدل على ذلك بأنه في عز ازدهار الاقتصاد الروماني، خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين، يندر العثور على حطام سفن رومانية تحتوي على مبالغ نقدية ضخمة، لإدراك التجار أخطار النقل البحري المتمثلة في القرصنة البحرية والتعرض للأنواء البحرية، أو ربما بسبب عدم استخدامها في التجارة^(١). هذا وتقدر السيولة النقدية من الذهب والفضة في الدولة الرومانية خلال القرن الثاني الميلادي بين ١٢ بليوناً و٢١ بليون سيسترز موزعة على النحو التالي:

١ - ١٢ بليون سيسترز ذهب.

٢ - ٧ بلايين سيسترز فضة.

٣ - ٢ بليون سيسترز برونز.

ويجب عدم إغفال أن جزءاً من النقود الرومانية، التي كانت تتفق على تأمين البضائع الشرقية، كان يعود إلى الإمبراطورية لشراء بضائع رومانية، التي اقتصر التعامل فيها على النقود الرومانية^(٢). ويرى البعض أن الجزء الأكبر من المبالغ التي تحدث عنها الكتاب الكلاسيكيون لم تغادر الإمبراطورية مطلقاً، وكانت تتداول في الداخل، نظراً لأن أغلب التجار والوسطاء والصناع كانوا من الرومان^(٣).

كذلك يجب ملاحظة حجم الاقتصاد الروماني الذي قدر فيه الناتج المحلي الروماني GDP للإمبراطورية من حوالي ٩ إلى ١٣ بليون سيسترز سنوياً خلال القرن الثاني

(1) Harris, «A revisionist view of Roman money», p. 19.

(٢) انظر John H. D'Arms, Commerce and Social Standing in Ancient Rome, London: Harvard University Press, 1981, p. 149.

الذي يرى انتشار التعامل بالنقود في معظم أجزاء الإمبراطورية، ما عدا القليل من التعامل القائم على التبادل التجاري بالبضائع في المناطق الريفية.

(3) Young, Rome's Eastern Trade, p. 204.

الميلادي^(١). ولكن الدراسات الحديثة عن الاقتصاد الروماني تضعف هذه التقديرات، وتضع الناتج المحلي الروماني خلال القرن الثاني الميلادي عند حوالي ٢٠ بليون سيسترز على أقل تقدير^(٢).

وهناك جانب مهم وهو مقارنة حجم التجارة العربية بالثروات الفردية في الإمبراطورية، وتوضح الأمثلة التالية أن كميات الأموال المتداولة في الإمبراطورية الرومانية تعد ضخمة مقارنة بالأموال المنفقة على البخور. فنجد الإمبراطور تيبيريوس (٤٢ ق.م - ٣٧ م) يقدم قروضاً بمبلغ ١٠٠ مليون سيسترز لتجنب الأزمة المالية التي حدثت عام ٣٢ م^(٣). وقدر المبلغ الذي حصل عليه ماركوس أنطونيوس بعد وفاة يوليوس قيصر عام ٤٤ ق.م بحوالي ٧٠٠ مليون سيسترز^(٤). وبلغ حجم ثروة سينيكا حوالي ٣٠٠ مليون سيسترز^(٥). كما يذكر شيشرون شراء المدعو البانيوس C. Albanus ملكية بمبلغ ١١,٥ مليون سيسترز، وقدرت ملكية القائد الروماني إيميليوس سكاوريس في مقاطعة Tusculum في إيطاليا بمبلغ ٣٠ مليون سيسترز، واشترى كلاديوس منزل إيميليوس سكاوريس في مقاطعة Palatine بمبلغ ١٤,٥ مليون سيسترز^(٦). كما يشير الكتاب

(1) Keith Hopkins, «Taxes and Trade in the Roman Empire (200 B.C.-A.D. 400)», JRS 70 (1980) pp. 117-120.

(٢) حول التقديرات والأدلة التي بنيت عليه، انظر: Walter Scheidel and Steven J. Friesen, «The size of the economy and the distribution of income in the Roman Empire», Version 2.0, Princeton-Stanford Working Papers in Classics, Jan. 2009, <http://www.princeton.edu/~pswpc/pdfs/scheidel/010901.pdf>, p. 13

(3) Harris, «A revisionist view of Roman money», p. 12.

(4) I. Shatzman, Senatorial Wealth and Roman Politics, Brussels 1975, p. 299.

(5) Groom, Frankincense and Myrrh, p. 157.

(6) Shatzman, Senatorial Wealth and Roman Politics, p. 289.

الرومان إلى مشاركة أفراد الطبقة العليا في التجارة، خاصة تجارة القمح والنبذ في روم والمدن الإيطالية، التي أصبحت أحد مصادر ثراء أفراد الطبقة^(١).

المجتمع الروماني والتجارة الشرقية :

إن الاعتقاد السائد لدى الكتاب الرومان، مثل ليفي^(٢)، وديو كاسيوس^(٣)، وبليني، يقوم على نظرية أن فساد المجتمع الروماني ظهر نتيجة التأثيرات الآسيوية. ويرتبط ظهور هذه الانتقادات مع الثروات الطائلة التي حصل عليها الرومان، وتغير أنماط المعيشة لدى المنتفعين من التوسع الروماني، من القادة والولاة خلال القرن الثاني قبل الميلاد، خاصة بعد انتصار الرومان في الحرب على كورنث وقرطاجة عام ١٤٦ ق.م، وتمكن روما من وضع يدها على ثروات الشرق الأدنى، وحصولها على إتاوات ضخمة من ممالك، مثل قرطاجة ومقدونيا وسلوقيا والبطالمة، أو من غنائم الحرب وتدمير المدن، مثل قرطاجة وسيراكيوس وكورينث^(٤). كما أن المدن التي سلمت من التدمير الروماني أجبرت على دفع ضرائب استنزفت مدخرات سكان المدن، كما تنافس القادة الرومان في الحصول على التعويضات من حروبهم التي خاضوها وخاصة في الشرق^(٥).

(1) D>Arms, Commerce and Social Standing in Ancient Rome, pp. 35-39.

(٢) Litus Livius (٥٩ ق.م-١٧ م) والشهير بلفيني، مؤرخ روماني كبير. عاش في روما وكان على علاقة بأسرة أغسطس وحظي بعنايتهم. اشتهر بكتاب تاريخ روما، الذي أرخ لمدينة روما منذ تأسيسها وحتى سنة ٩م في حوالي ١٢٠ مجلدًا، انظر: Boia, Great Historians from Antiquity to 1800, pp. 324-325.

(٣) كاسيوس ديو كوكيانوس (حوالي ١٦٢/١٦٤-٢٢٥م) Cassius Dio Cocceianus. الشهير باسم ديو كاسيوس مؤرخ روماني من أصل إغريقي. ولد في مدينة نيقية في آسيا الصغرى، وتقلد كثيراً من المناصب الإدارية الرومانية، له كثير من المؤلفات وخاصة كتابه المشهور تاريخ روم. انظر: Boia, Great Historians from Antiquity to 1800, pp. 317-318

(٤) هناك اختلاف كبير بين الباحثين حول أسباب التوسع الروماني، وهل يعود ذلك لأسباب دفاعية أم توسعية، انظر: J. North, «The development of Roman Imperialism», JRS, 71 (1981) pp. 1-9.

(5) Howgego, «The supply and use of money in Roman world 200 BC-AD 300», pp. 5-6.

ونتيجة لهذا الثراء بدأ الإنفاق غير الضروري، حسب الروايات الكلاسيكية الرومانية، ما دفع المشرعين إلى إصدار قوانين تمنع استخدام العطور الشرقية عام ١٨٨-١٨٩ ق.م^(١). ومن ثم فإن أرقام بليني لا تمثل إحصاءات تجارية دقيقة، بقدر ما تمثل وجهة النظر الفلسفية التي تنتقد درجة الإسراف والتبذير الذي أصبح عليه المجتمع الروماني^(٢). ويظهر هذا التصور بوضوح في نص ديو كاسيوس :

«كان الرومان، بعد تجربة المنتجات الشرقية الفاخرة وحصولهم على الغنائم بوفرة، وحب السيطرة الذي يتأتى مع القوة، يستمتعون بكثير من الوقت مع ممتلكات المهزومين. وبعد فترة قصيرة بدأ (الرومان) في التنافس على المظاهر مثلهم (الآسيويين). وخلال وقت قصير تخلوا عن تقاليد أجدادهم، وهكذا بدأت المشكلة وتملكت المدينة^(٣)». وفي نص آخر يذكر ليفي أن الاهتمام بالبضائع الأجنبية الفاخرة والكماليات دخل على روم بواسطة الجيوش الآسيوية العاملة عند الرومان «luxuriae enim peregrini»^(٤)، التي تمثلت في شراء البضائع والمنتجات الشرقية وكذلك الفرق الاستعراضية والاحتفالات وغيرها من مظاهر اللهو التي شهدتها روم لاحقاً.

إن اتهام الكتاب الكلاسيكيين للشرقيين باستنزاف الخزينة الرومانية من النقود وتحويلها إلى الشرق من خلال شراء البضائع لا يختلف في مجمله عن اتهامهم لهم

(1) Brun, «The Production of Perfumes in Antiquity», p. 290.

(2) Young, Rome's Eastern Trade, p. 205-2207 , Howgego, "The supply and use of money in Roman world 200 BC-AD 300," p. 6.

(3) Cass. Dio, frag. 64.

(4) Litus Livius, The History of Rome, trans. Evan T. Sage, Book 39 .6.7. <http://www.perseus.tufts.edu/hopper/text?doc=Perseus%3Atext%3A1999.02.0166%3Abook%3D39%3Achapter%3D6.15/3/2011>.

بالتخلف. ونختم هذه النصوص بنص بليني الذي يظهر النقد القوي لهذه التجارة التي أسهمت في فساد المجتمع الروماني، حيث يقول:

تعرف الجزيرة العربية «بالسعيدة»، دولة باسم خطأ ومعنى غير صحيح؛ لأن الاسم يقترح أن سعادتها قد جاءت من الآلهة، ولكنه في الحقيقة يرتبط بقوى الظلام. وفي الحقيقة يعود حظ الجزيرة العربية إلى حب الإنسان إلى الترف حتى عند الموت، لأنهم عندما يحرقون البخور على الميت كانوا في الواقع يحرقون مواد وجدت في الأصل من أجل الآلهة، فمن المعروف أن الجزيرة لا تنتج في سنة واحدة كمية ضخمة من البخور تعادل ما أحرقه الإمبراطور نيرو في يوم واحد في جنازة زوجته بوبيا. وعندما نجمع العدد الكبير من الجنائز المحتفل بها سنوياً في العالم، والبخور، ...، الذي يجمع في أكوام لتكريم الأجساد الميتة. وعلى الأقل فإن الهند والصين والجزيرة العربية تحصل على حوالي مئة مليون سيسترز في السنة، وهو المبلغ الذي تتكلفه نساؤنا وينفق على الكماليات، التي يذهب جزء منها، ...، إلى الآلهة وإلى قوى العالم السفلي⁽¹⁾.

إن الدراسة المتأنية لهذه النصوص توضح جانباً مهماً بدأ الباحثون بالتركيز عليه، وهو أنها تعكس حالة الفساد الذي استشرى في المجتمع الروماني، وتخليهم عن عادات وتقاليدهم. كما تكالبت عوامل كثيرة أدت إلى انتقاد ظاهرة البذخ والإسراف في المجتمع الروماني، مثل ربط ذلك بالنظرة الرومانية التقليدية للتجارة التي تقلل من مكانة العاملين في هذا المجال نظراً لما يدخل فيه من عدم الصدق والخداع⁽²⁾.

كان الاهتمام بتجارة البخور العامل المشترك بين ممالك الجزيرة العربية والإمبراطورية الرومانية بهدف تأمين تدفق هذه السلع الضرورية دينياً ودنيوياً، التي لا غنى للناس عن استخدامها في المعابد والعلاج، ولا غنى للحكومات عن الدخل الضريبي

(1) Pliny, 12.41.83-84.

(2) D>Arms, Commerce and Social Standing in Ancient Rome, pp. 20-23, 43-45, 152-153.

المتحقق من ورائها. وأوضحت الدراسة وجود تناقض بين ما سطره الكتاب الكلاسيكيون وواقع تجارة الجزيرة العربية، التي تفتقد إلى الشواهد الأدبية أو الأثرية لتأكيد ادعاءاتهم بالثراء الأسطوري للجزيرة العربية، أو استنزاف الخزانة الرومانية. فقد اقتصر القسم الأكبر من صادرات الجزيرة العربية الرئيسية على سلعتين هما اللبان والمر، وكانتا تباعان بأقل الأسعار في الإمبراطورية الرومانية، مقارنة بالسلع الشرقية الأخرى، حسب رواية بليني. وربما نتيجة تدني أسعار هذه البضائع لم يهتم الرومان بتحصيل ضرائب عليها، مثل اهتمامهم بتحصيل الضرائب على الواردات الشرقية من الهند والصين وأفريقيا.

إن الاستعراض الدقيق لكتابات المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين يوضح أن معلوماتهم عن تجارة الجزيرة لا تختلف كثيراً عن معرفتهم بجغرافيتها وطبيعتها، التي شابها الغموض والأخطاء والمعلومات المبالغ فيها حول المخاطر والصعوبات، خاصة خلال حقبة ما قبل الميلاد. على الرغم من ذلك نجد أن الغالبية العظمى من هؤلاء الكتاب يتحدثون عن الثراء الفاحش لسكان الجزيرة العربية، الذي يعود في نظرهم إلى الكسب المحقق من تجارة البخور والمواد العطرية، سواء كانت من بيع منتجات الجزيرة العربية، أو من خلال عملهم وسطاء في نقل المنتجات الأفريقية، والهندية، والصينية إلى مناطق الاستهلاك في الشرق الأدنى وحوض البحر المتوسط.

وتشير الشواهد الأدبية والأثرية إلى أن جزءاً من التجارة الشرقية كان يعتمد المقايضة ببضائع رومانية، خاصة الملابس والخمور والصناعات المعدنية. كذلك فإن المبالغ التي ذكرها بليني هي أسعار التجزئة داخل الإمبراطورية، وهي لا تعكس القيمة الحقيقية للتجارة الشرقية. كما أن جزءاً كبيراً من هذه الأموال لم يغادر الأراضي الرومانية، وكان يتداول بين التجار والصناع والوسطاء والمشتغلين في النقل والخدمات الأخرى، مثل إسهامها في قيام صناعات عطرية مزدهرة داخل المدن الإغريقية والرومانية.

وأخيراً فإن الجزء المتبقي، الذي حصل عليه التجار، كان يجب أن يمر بخمس وستين

مرحلة حسب تقديرات بليني، هذا عدا الأموال التي تتفق داخل أراضي اللبان، ما يجعل المبالغ المتبقية لا تمثل موارد مالية ضخمة تعكس النموذج الكلاسيكي. كما توضح الدراسة ارتباط النظرة الكلاسيكية لتجارة الجزيرة العربية والتجارة الشرقية بتصورات فلسفية عن المجتمع الروماني والفساد المتغلغل فيه بعد سيطرتهم على ثروات الشعوب الأخرى. إن مقارنة الاقتصاد الروماني بالأموال المنفقة على اقتناء الحاجات الضرورية لهذا المجتمع من الشرق تدل على عدم استنزاف التجارة الشرقية للرومان. كذلك فإن أرقام بليني لا تمثل أرقاماً ضخمة مقارنة بالثروات الفردية أو الناتج المحلي الروماني. إن أقرب مثال يمكن مقارنته هو وضع النفط اليوم فهل يمكن مقارنة ميزانيات النفط بالميزانيات الغربية والعالمية؟ وهل استفاد العرب من النفط الخام، أم صدروه مثل أجدادهم لبيع لهم مرة أخرى بأضعاف ثمنه مئة مرة!

المصادر والمراجع

- ١ - ابراهيم، عبدالرحمن سعد. تجارة روما مع الهند وجنوب الجزيرة العربية في العصر الإمبراطوري: دراسة اقتصادية واجتماعية ٣٠ ق.م - ١٩٢ م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنصورة ٢٠٠٦ م.
- ٢ - بيرين، جاكين. اكتشاف جزيرة العرب. خمسة قرون من المغامرة والعلم؛ ترجمة قدرى قلعجي - الرياض: منشورات الفاخرية، ب.ت.
- ٣ - الحبيشي، حسين علي، نجيب عبدالرحمن شمير. الطواف في البحر الأحمر ودور اليمن البحري - عدن: جامعة عدن، ٢٠٠٤ م.
- ٤ - الحسين، أحمد عبد الله، ميناء برينقي ونشاطه التجاري في القرن الميلادي الأول. حوثيات الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة الكويت، ٢٠٠٩ م.
- ٥ - سحاب، فيكتور. إيلاف قريش. رحلة الشتاء والصيف - بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢ م.
- ٦ - السعيد، سعيد فايز. العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣ م.
- ٧ - الشرقاوي، باسم سمير. «بعض الجاليات الأجنبية التي عاشت في مصر القديمة»، العدد التكريمي تحفة هندوسة، المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٧ م.
- ٨ - الشبية، عبد الله حسن. دراسات في تاريخ اليمن القديم - تعز: مكتبة الوعي، ٢٠٠٠ م.
- ٩ - عبدالعليم، مصطفى كمال، «دور البحر الأحمر في تاريخ مصر على عهد البطالمة»، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، أبحاث الأسبوع العلمي الثالث - القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨٠ م.
- ١٠ - عبدالعليم، مصطفى كمال. «بطليموس الثاني والاحتفال بعيد البطوليمييا» الجمعية التاريخية المصرية ١٩ (١٩٧٢ م).
- ١١ - محمد السيد عبدالغني. شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة - الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩ م.

- ١٢- عطا الله، سمير. قافلة الحبر. الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢-١٩٥٠م) -٠ بيروت: دار الساقى، ١٩٩٤م.
- ١٣- زيادة، نقولا. «دليل البحر الإرتري والتجارة العربية البحرية»، دراسات تاريخ الجزيرة العربية -٠ ط١، ج١، جامعة الملك سعود، ١٩٨٤م.
- ١٤- العمري، صالح ناصر. طريق البخور القديم. من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه -٠ صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة، ٢٠٠٤م.
- ١٥- النعيم، نورة عبد الله. الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي -٠ الرياض: دار الشواف، ١٩٩٢م.
- ١٦- محمد بيومي مهران . «دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة»، مجلة اللغة العربية العلوم الاجتماعية ٦ (١٩٧٦م)، ص ٢٩٧-٤٣٧.
- ١٧- يحيى، لطفي عبد الوهاب . العرب في العصور القديمة. مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام -٠ بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٩م.

18. Boia, Lucian (edt.), Great Historians from Antiquity to 1800: an international Dictionary, London: Greenwood Press 1989.
19. Brun, Jean-Pierre, «The Production of Perfumes in Antiquity: The Cases of Delos and Paestum,» AJA, 104 (2000).
20. D.Arms, John H., Commerce and Social Standing in Ancient Rome, London: Harvard University Press, 1981.
21. Diodorus Siculus, Library of History, trans. by C. H. Oldfather, London: Loeb classical Library 1935.
22. Groom, Nigel, Frankincense and Myrrh. A Study of the Arabian Incense Trade, London: Longman 1981.
23. Harris, W.V., «A Revisionist View of Roman Money» JRS, 96 (2006).
24. Herodotus, The History of Herodotus, trans. by A. D. Dodley, London:

- Loeb classical library 1981.
25. Hopkins, Keith, «Taxes and Trade in the Roman Empire (200 B.C.- A.D. 400),» JRS 70 (1980).
26. Howgego, C. «The supply and use of money in Roman world 200 BC- AD 300,» JRS (1982).
27. Jenkins, Julie, «The Berenike customs archive and the organization of trade,» The Archaeology of the Eastern Desert, <http://www.archbase.com/berenike/UCstudentLA2.html>, 10/1/2011.
28. Judd, Tony, «The trade with India through the Eastern Desert of Egypt under the Roman Empire,» The Archaeology of the Eastern Desert, 2007, http://archaeologyeasterndesert.com/assets/applets/LYSA_Judd.pdf, 10/1/2011.
29. Kotarba-Morley, Anna M., «Maritime connections of the Arabian Peninsula in the network of Indo-Roman trade – study of ports and harbours,» International Symposium on the Historical Relations between Arabia, the Greek and Byzantine World (5TH c. BC – 10TH c. AD), Riyadh, 6-9 December 2010.
30. Litus Livius, The History of Rome, trans. by Evan T. Sage, <http://www.perseus.tufts.edu/hopper/text?doc=Perseus%3Atext%3A1999.02.0166%3Abook%3D39%3Achapter%3D6>, 15/3/2011.
31. Morley, Neville, Trade in Classical Antiquity, Cambridge: Cambridge University press 2007.
32. North, J., «The development of Roman Imperialism,» JRS, 71 (1981) pp. 1-9.
33. Pliny, Natural History. trans. by H. Rackham. London: Loeb classical library 1963.

34. Plutarch, Lives. Live of Alexander. trans. by John Dryden, The Classical Archive, <http://classics.mit.edu/Plutarch/alexandr.html>, 23/9/2010
35. Al-Salameen, Zeyad, «Frankincense and the Nabataeans: Historical and Archaeological Evidence,» Journal of King Saud Univ. Tourism and Archaeology (2009).
36. Scheidel, Walter and Steven J. Friesen, «The size of the economy and the distribution of income in the Roman Empire,» Version 2.0, Princeton-Stanford Working Papers in Classics, Jan. 2009. <http://www.princeton.edu/~pswpc/pdfs/scheidel/010901.pdf>.
37. Shatzman, I., Senatorial Wealth and Roman Politics, Brussels 1975.
38. Sidebotham, Steven E. Roman Economic Policy in the Erythra Thalassa 30 B.C - A.D. 217. (Mnemosyne Suppl., 91) Leiden: Brill, 1986.
39. Strabo, The Geography of Strabo, trans. by H. L. Jones, London, Loeb classical Library 1930.
40. Virtual Karak Resources Project, "Trajan and the Via Nova," <http://www.vkrp.org/studies/historical/roman-roads/info/new-way.asp>, 15/1/2011.
41. Young, Gary K. Rome's Eastern Trade. International Commerce and Imperial Policy, 31BC—AD 305. London: Rutledge 2001.